

## الخطاب الموجه للأطفال

بين البعد الاجتماعي النفسي والبعد التربوي التعليمي.

**The discourse directed to children  
Between the social-psychological and educational dimensions.**



أ د: سليم حمدان\*

جامعة الوادي (الجزائر)

hamdane-salim@univ-eloued.dz

أ د: فتحى بحة

جامعة الوادي (الجزائر)

baha-fathi@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/04 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/16



**ملخص** يعالج هذا المقال قضية غاية في الأهمية والخطورة، وتتعلق بطبيعة الخطاب الموجه لفئة اجتماعية محددة، هي فئة الأطفال عموما و"الأطفال المسعفين" على الوجه الخصوص، وتهدف هذه الدراسة إلى بيان أهمية الأبعاد الاجتماعية، والنفسية، التربوية، التعليمية للخطاب الموجه للأطفال من أجل تعديل سلوكياتهم، ناهيك عن بيان ما يمكن للمدرس وللإمام ومن يقوم مقامهم في مجال التوجيه التربوي أن يضطلع به من عمل في هذا السياق.

ومن هنا يُطرح الإشكال الآتي: أين يكمن دور النخبة الدينية والثقافية من معلمين ومرشدين وأئمة في ترشيد الخطاب الموجه للأطفال، مع مراعاة الجوانب الاجتماعية والنفسية الخاصة لتحقيق الغايات التربوية والتعليمية المنشودة؟

\* المؤلف المراسل

**الكلمات المفتاحية:** الخطاب؛ البعد الاجتماعي؛ البعد التربوي؛ البعد التعليمي؛ الطفولة المسعفة.

**Abstract:** This article treats a very important and serious issue related to the nature of the discourse directed to a specific social group, it is the category of children in general and “children in need” in particular. This study aims to demonstrate the importance of the social, psychological, educational, and teaching dimensions of the discourse directed to children. In order to modify their behavior, not to mention explaining what the teacher, the imam, and those who take their place in the field of educational guidance can do in this context.

We can subtract , the following question: What is the role of the religious and cultural elite, including teachers, counselors, and imams, in guiding the discourse directed to children, while taking into account the specific social and psychological aspects to achieve the desired educational and teaching goals?

**Keywords:** Discourse; Social dimension; Educational dimension; Educational dimension; Helped childhood

**– مقدمة:** يُعرَّفُ التعلم في المنظار السلوكي على أنه تغيير تقديمي في السلوك نتيجة لمرور الكائن الحي بخبرة تعليمية محددة، تغيير في السلوك نتيجة التمرين والتدريب والمران والتوجيه المستمر، وقد يعتمد في بعض جوانبه على الملاحظة المباشرة للعنصر الملاحظ مما يسهم في التعديل التدريجي للسلوك بإسقاط كل السلوكيات والمحاولات الخاطئة والفاشلة للتركيز فقط على العناصر المفيدة، وعليه فإن سلوك الكائن الحي سيتحسن تدريجياً يوماً بعد يوم.

ومن كل هذا يمكن أن نحصر حدود التعلم في نطاق ثلاثة أطر رئيسية: أولها التعلم غرس لسلوك جديد لدى المتعلم، وثانيها إطفاء السلوك السيء لدى المتعلم، وثالثها تعديل في السلوك الشائع والقائم لدى المتعلم ليكون أكثر وظيفية وأكثر نفعاً، وهذا هو صلب هاته المداخلة.

**أولاً – الخطاب الموجه للأطفال ماهيته وسماته.**

**1- تعريف الخطاب:** يرتبط مصطلح الخطاب في العصر الحديث ارتباطا وثيقا بالباحث الفرنسي "ميشال فوكو" (M. Foucault) والذي نظر إلى الخطاب على أنه مفهوم مرتبط بالإنسان ومؤسساته وفيه يقول: "إن الخطاب لم يعد طريقة للتعبير أو حديثا متساوقا، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة، أو تحليلا لذات واعية تتأمل وتعرف وتعبر، وإنما أصبح إمكانا وشرط وجود ونظاما، وأصبح حقلا تتمفصل فيه الذوات، ومجموعة علاقات تجد فيها مركزا له"<sup>1</sup>. ويعرفه في موضع آخر بقوله: "عملية عقلية منظمة تنظيميا منطقيا، أو عملية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية، أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي يرتبط بعضها ببعض"<sup>2</sup>، وهو ما يجعل الخطاب أكثر ارتباطا بالفلسفة والمنطق والفكر. كما عرف الخطاب من المنظار السوسولوجي في كونه: "جملة من المعاني المختلفة المراد زرعها أو نشرها أو ترسيخها عبر وسائل مختلفة باتجاه فئات أو مجموعات معينة في المجتمع"<sup>3</sup>.

وفي هذا السياق البحثي يجدر بنا الإشارة إلى العلاقة القائمة بين الخطاب والسلطة والمعرفة، والتي تبدو علاقة وشيجة جدا، وفي هذا يقول "ميشال فوكو": "إن الخطاب ينقل السلطة وينتجها، ويقويها، ولكنه أيضا يلغمها، يفجرها، يجعلها هزيلة، ويسمح بإلغائها"<sup>4</sup>.

والحق إنه إن كان للخطاب سلطة يمارسها على من حوله من مجتمع وبشر ومؤسسات، فإنه أيضا يمثل انعكاسا وتطبيقا لسلطة ما، وما الخطاب إلا أحد أدواتها وعناصرها الأساسية، كما أن السلطة نفسها تعمل من خلال الخطاب، ومنه فإن الخطاب نفسه سيكون رسالة موجهة لمتلق ما ذي سمات محددة، وتهدف السلطة للوصول إليه من خلال الخطاب ولتلقينه عددا من البيانات الوظيفية الهادفة لتحسين سلوكه، وللتأثير عليه بشكل إيجابي مما يجعل حياته أكثر توازنا.

**2- سمات الخطاب الموجه للأطفال وغايته.** من المفيد جدا في هذا السياق البحثي أن نشير إلى قضيتين أساسيتين قبل الحديث عن خصائص الخطابات الموجهة للأطفال وسماتها المميزة:

فأما القضية الأولى فتتعلق بالخصائص العقلية والنفسية والوجدانية للأطفال أنفسهم، وبكل ما يتعلق بقدراتهم العقلية وطموحاتهم ورغباتهم وحاجاتهم، والتي يجب أن تراعى وأن تُؤخَذَ بالحسبان، ذلك أن أي خطاب يستهدف تعديل سلوكهم فإما أن يعمل على تعليمهم سلوكيات جديدة لا قبل لهم بها، وإما أن يدفعهم للتخلي عن عدد من السلوكيات السيئة وغير الملائمة للفرد والمجتمع، وإما أن يعمل على تعديل السلوكيات الموجودة عندهم تعديلا يساهم في جعلها أكثر مناسبة وأكثر وظيفية.

وأما القضية الثانية فتتعلق بخصائص الخطاب نفسه وبنيتة الداخلية والخارجية، وغاياته وسماته الوجدانية وكفاءاته في التأثير على الآخرين وفي قدرته في نقل الرسائل المنوطة به، سمات تتعلق بمقدرة الخطاب نفسه في التسلط على قلوب الآخرين وعقولهم، وفي قدرته على المحاجة للوصول إلى غاياته بكل كفاءة وفعالية.

ولربما دخل تحت مظلة ما أوردنا سلفا كل النصوص الأدبية المكتوبة والخطابات الشفوية الموجهة للأطفال للتأثير عليهم بشكل مباشر وغير مباشر. وفي ذلك يذكر أن "شارلوت هاك" (C. Huck): "أدب الطفل يتمثل في كل ما يقرؤه الأطفال أو يسمعون سواء أكان في صورة أشعار أم في صورة قصص خيالية أو واقعية، وسواء أكان هذا في صورة تمثيلات ومسرحيات، أم في صورة كتب ومجلات، بشرط أن تكون المختارات المقروءة أو المسموعة مناسبة لفهم الأطفال وخبراتهم وانفعالاتهم"<sup>5</sup>.

ومن السمات المميزة للخطاب الموجه للأطفال خاصة نذكر:<sup>6</sup>

- أن يرتبط الخطاب أكثر فأكثر بالمعجم اللغوي الخاص بالطفل مراعيًا خصائصه العمرية وثروته اللغوية، وقدراته وعاداته اللفظية في هذه المرحلة العمرية المحددة.
  - أن يتسم الخطاب بخصائص تجعله أكثر مقبولة عند سامعيه (فئة الأطفال خاصة)، كأن يتخذ من المدخل القصصي، أو المسرحي، أو الفكاهي، أو الديني... سبيلا للولوج إلى ألباب سامعيه، وللتأثير فيهم والسيطرة عليهم.
  - أن يخاطب فيهم مختلف الحواس والمداخل المعرفية: (المدخل السمعي، والمدخل البصري، والمدخل الحسي، والمدخل الذوقي).
  - أن يحمل الخطاب كل عناصر المحاجة والإقناع والسلطة (الفكرية واللغوية).
  - أن ينحو الخطاب منحى محددًا بما يتوافق مع الرسالة التي يروم إيصالها للأطفال، وتماشيا مع طبيعة الموضوع نفسه، والأهداف المنشودة من وراءه.
  - التلويح في أساليب الخطاب نفسه تماشيا مع غايات الرسالة والموضوع.
- وأما عن غايات الخطاب الموجه للأطفال فنورد: <sup>7</sup>
- أن يعمل على تزويدهم بما يساهم في تنشئتهم وتربيتهم تربية متكاملة، فيزودهم بالحقائق والمفاهيم والمعلومات في مختلف المجالات: (الدينية، والاجتماعية، والعلمية، والتاريخية، والجغرافية، والقانونية... وهلم جرا).
  - أن يعمل على إمدادهم بالمفردات والألفاظ الكافية التي تنمي ثروتهم اللغوية، وبالعبارة الكافية والمناسبة التي تساعد على استخدام اللغة استخدامًا وظيفيًا صحيحًا وسليما.
  - أن يعمل على تحريك الجوانب الوجدانية والعاطفية عندهم، وأن يعمل على إشباع حاجاتهم النفسية المتعددة.
  - أن يغرس فيهم من القيم والمثل ما يجعلهم نماذج صالحة ونافعة للمجتمع.

- أن يعمل على تقويم سلوكياتهم بما يتوافق مع الغايات المنشودة، وأن يعمل على توجيههم الوجهة السليمة.

- أن يغرس فيهم مهارات التذوق السليم لكل ما يقرؤون ويسمعون ويشاهدون.

- أن يفتح أذهانهم على الفهم السليم والإدراك الحقيقي لتمثل ما يفد إليهم من معلومات.

- أن يغرس فيهم القدرة على الملاحظة الدقيقة، والاستنباط والاستنتاج والتحليل الدقيق والمقارنة والنقد الموضوعي للأوضاع والأحداث.

- أن يغرس فيهم الرغبة في طلب المزيد من الفهم والرغبة في البحث الدؤوب، والنظر الثاقب لكل ما يحيط بهم من موجودات.

**ثانيا - أبعاد الخطاب الموجه للأطفال:**

**1- البعد الاجتماعي للخطاب:** من المفيد في هذا السياق البحثي ونحن نتحدث عن البعد الاجتماعي للخطاب الموجه للأطفال عموما وللأطفال من ذوي (الحالات الخاصة) أن ندرك أمورا محددة ترتبط بالطبيعة الاجتماعية للأطفال أنفسهم فهم مجتمع خاص، بل وقوة خاصة تحركها نوازع ورغبات محددة وتوجهها وجهات محددة، وفهم الطبيعة الاجتماعية لهذا المجتمع الصغير أمر لا مناص منه قبل أن نوجه إليه خطابا هادفا، يقول الفيلسوف الفرنسي "آلان" (Alain) في معرض حديثه عن (شعب الأطفال): "قليل ما نعرفه عن هذا الشعب، كُلُّ يريد أن يحكم حسب ما شاهده بين أطفال الأسرة، هذا غلط في الطريقة يجب أن يتجنبه عالم الاجتماع... ليس الطفل في هذه الحالة في اتصال مع أشباهه... محصور بين الكبار والصغار... في المدرسة فقط يلتقي بشبيهه وقرينه، في المدرسة يتغير خلقا آخر خيرا مما كان أو أقبح مما كان... وهذا ما يجمله كل المعلمين تقريبا... إن الطفل المنفرد يكون في العادة متأدبا أمام رجل لا يعرفه، لكنك إذا ما جمعته

مع من هم في سن مماثلة، فإن العواطف القوية بين هذه الجماعة تنشأ من التقليد والعدوى، وإذا كنت تظن أن هذا المخلوق الجماعي سيشبه في ردود فعله وفي آرائه وفي عواطفه الأشخاص الذين يتكون منهم، فإنك ستذهب من غلط إلى غلط... هذا الشعب الطفل يستطيع أن يحب وأن يحترم، ولا يكون ذلك أول الأمر بواسطة الأفكار لكن بسبب سلطة الجماعة على كل فرد، وهذه العواطف الجماعية منظمة، وتتوجه حسب الصوت مثل الضحك (الجماعي)... وهكذا يشعر الجميع أنهم أجزاء عنصر أعمى مثل البحر، ويشعرون أيضا في الحين أن هذه القوة الجماعية لا تقاوم وهنا لا مكان فيها للتأدب الذي هو عادة أسرية..<sup>8</sup>.

وضح لدينا إذا أن وجود الطفل منفردا لا يمكن أن يبنينا بشيء عن حقيقة سلوكه ولا عن عاداته وقدراته وطبيعته وأخلاقه، بيد أن طبيعة الاجتماع التي تجمعهم مع أقرانه ستكشف لنا لا محالة عن مكونات نفسه، وعن قدرته في التأثير والتأثر بمجتمعه الجديد هذا، مجمع كما قال عنه (آلان) مختلف عن فرد من أفرادها، بل هو نتاج للعمل الجماعي ولطبيعة الاجتماع نفسه، الذي سيفرض سلطته على كل الممتنمين إليه والداخلين تحت سلطانه، بل هو قوة جارفة وسلطة عليا تتوجه بأفرادها حيثما سُمع الصوت (إن خيرا فخييرا وإن شرا فشرا).

ومن هنا سيأتي دور الخطاب الموجه لهاته الفئة من الأطفال، فكيف يمكن لهذا الخطاب ولهذا المَخَاطِبِ أن يغير من قناعات جماعة الأطفال؟ وكيف يمكنه أن يتسلط على عقولهم فيسلبها سلبا؟ وكيف يمكنه أن يبلغ بهم مبلغ الحاجة في إقناعهم بالعدول عن بعض السلوكيات التي تبدو معيبة، بل وإبدالها بسلوكيات آخر أكثر نفعا؟

و أول مبادئ التأثير في الخطاب يكمن في المَخَاطِبِ نفسه من جهة، وفي المَخَاطِبِ وطبيعته وخصائصه ومعتقداته من جهة ثانية، ذلك أن الأطفال في مختلف

أعمارهم دائمي التأثير بكل ما يحيط بهم من صور وأحداث وشخص، ولربما كان الأفراد المحيطون بهم هم أكثر الأشياء تأثيراً في سلوكياتهم.

والحق إنه إن كانت وظيفة الخطاب في جانبه الاجتماعي أن يحمل لمتلقيه رسائل محددة مشفرة كانت أو مباشرة، فإنه يهدف في نهاية الأمر لأن يغرس فيه سلوكيات محددة، سلوكيات تهدف لإصلاح ذاته بما يجعل منه فرداً صالحاً في مجتمعه الصغير والكبير. ومنه فإن المخاطب نفسه يجب أن يكون نموذجاً يُحتذى لغة وسلوكاً، سواء كان معلماً أو مشرفاً تربوياً أو إماماً، فإذا ما تعلق الأمر بفئات تربوية وتعليمية خاصة فإن الأمر سيزداد خطورة، ومن جانب آخر فإن المتتبع والمطالع لمختلف نظريات التعلم سيجد أن أقرب نظرية من نظريات التعلم إلى موضوعنا هذا هي "نظرية التعلم الاجتماعي" التي يترجمها العالم الكندي "ألبرت باندورا" (A. Bandura)، ويقوم مبدأ التعلم في هاته النظرية على افتراض مُفادُهُ أن الإنسان كائن اجتماعي يتأثر بتأثيرات مباشرة باتجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكياتهم، أي أنه يستطيع أن يتعلم منهم من طريق ملاحظة استجاباتهم وتقليدها، ويعتقد أصحاب هذه النظرية أن أغلب النشاط البشري يتم تعلمه على نحو بديلي من خلال ملاحظة أنشطة النماذج وأنماطهم السلوكية والعمل على محاكاتها، بحيث يعتمد الشخص الملاحظ إلى إبدال سلوكياته القديمة غير المفيدة بسلوكيات أخرى جديدة أكثر نفعاً وأكثر وظيفية، ويورد هؤلاء أن التعلم عن طريق الملاحظة يتضمن جانباً انتقائياً، إذ ليس من المتوقع من الكائن البشري الذي تعرض لأنماط سلوكية معينة هو أمر قابل للتقليد تقليداً أعمى، بل إن هؤلاء الأشخاص يعملون على إعادة صياغة تلك الأنماط السلوكية على نحو معين وفقاً لما يتوافق مع حاجاتهم، أو أنهم في ذلك سيختارون ما يناسبهم من الأنماط والتخلي عن الجزء الآخر غير المفيد<sup>9</sup>.

وتلك أمور يجب أن تؤخذ بالحسبان عند كل خطاب يُوجَّه لهؤلاء قصد التأثير فيهم بشكل ما، ذلك أن واحدة من مهمات الخطاب وظائفه في الشق الاجتماعي هي أن ينمي في متلقيه القدرة على التكيف مع الأوضاع والظروف الجديدة ومواجهة التحديات التي قد تعترض سبيله، بل وينقل إليه سنن حل المشكلات التي تكتسب من سبيل الملاحظة أولاً، ومن طريق التفكير في الأمور والتدبر فيها باستخدام العقل المتقد ثانياً.

**2- البعد النفسي للخطاب:** يتمثل البعد النفسي للخطاب أساساً فيما يتركه الخطاب نفسه من انطباعات وتأثير نفسي في سامعيه ومتلقيه، والمساحة الزمنية التي تحتلها مهارة الاستماع من حياة الطفل هي مساحة واسعة جداً إذا ما قورنت بغيرها من مهارات اللغة كالحدث والقراءة والكتابة، وعليه فإن الأطفال في مثل هذه السن سيقضون ساعات طوال من الاستماع لكل ما يحيط بهم من خطابات تلاصق أسماعهم، خطابات مباشرة تأتيهم من أشخاص يقاسمونهم الحياة اليومية، وخطابات غير مباشرة ستأتيهم من طرائق شتى كالتلفزيون والراديو ومواقع التواصل الاجتماعي، كل هذه الخطابات ستكون لا محالة ذات تأثير واسع في نفسية الأطفال المتلقين وفي سلوكياتهم.

إن واحداً من الغايات النفسية والعقلية للخطاب الموجه للأطفال هي أن يعمل على تنمية الإحساس بالجمال والخيال المبدع، ومن الجيد في هذا السياق أن يعمل الخطاب على توجيه خيال الأطفال إلى الطريق السليم بحيث يكمل الواقع بما يضمن تحسيناً لهذا الواقع انطلاقاً من فكرة محددة، فيكون ميلاد الفكرة انطلاقاً من الواقع العيني المعيش، وفي هذا يقع الاقتران والتعايش بين الواقع والخيال، وهو سبيل جيد من سبل امتلاء حياة الأطفال بالجمال والخير ومحبة الآخرين.

ومن المهمات الرئيسة أيضاً والمنوطة بالخطابات الموجهة للأطفال، عملية (التطهير الانفعالي) لنفسية الأطفال، ذلك أن الغبطة التي تملو وجوه الأطفال وهم يتلقون خطابات جمالية بل وينشدونها ويرددونها، تعكس سمات الفرح والمرح والسرور الذي

يصاحبهم نتيجة التغلب على كل مظاهر الخجل والتوتر والخوف عندهم، مما يشهد بأننا أمام صورة من صور التطهير الانفعالي التي ذكرت في نظرية "أرسطو"، والتي ترى أن (الخطاب) الأدبي يطهر نفس متلقيه من زائد الخوف والشفقة التي لا حاجة لنا به حتى نكون أسوياء<sup>10</sup>.

والحق إن رؤية العالم والأشياء تختلف اختلافا جذريا بين رؤية الكبار والصغار، ففي هذا السياق يقدم العالم السويسري "جان بياجيه" (J. Biagie) فكرة مفادها أن للأطفال نظرة وتصورات للعالم وللأشياء والأحداث تختلف تماما عن نظرة الآخرين لها، ومنه فإن الفهم الدقيق والعميق لهاته الفئة هو أساس لتحقيق التأثير التام عليهم.

كل ما أوردهنا سيدفعنا دفعا حثيثا للحديث عن جوانب مهمة من الخطاب الذي يمكن أن يوجه لفئة الأطفال قصد التأثير عليهم بشكل مباشر، ويتضح ذلك بجلاء فيما يحمله الخطاب نفسه من قدرات على التأثير في شخصيات المتلقين وفي عقولهم، سواء تعلق الأمر بشكل الخطاب أو بمضمونه، فأما من حيث شكله فإن الخطاب الموجه للأطفال سيعتمد على آليات نصية محددة كال تكرار والتناس والتضام وقدرة الاستدعاء والربط المباشر بين عناصر الخطاب، مع مراعاة القاموس اللغوي الخاص بالمتلقي، وقدرات المتلقي نفسه على استدعاء الكلمات، وتفهم الكلمات والأفكار الجديدة، ومما جاء في هذا الصدد: "إن المتتبع لبنية الخطاب في لغة السرد في الكتابات الموجهة للأطفال يلحظ أن هاته اللغة في مجملها تنماز بالوضوح والسهولة والبساطة، والبعد عن كل أضرب البلاغة والأنماط اللغوية العتيقة، ناهيك عن استعمال مختلف أساليب التكرار الهادف لترسيخ العادات ولتثبيت المكتسبات، مع استعمال بارز للجمل القصيرة (فعلية كانت أو اسمية)، ولربما لجأت بعض الخطابات لفسح المجال لاستعمال لغة التحاور مع الأطفال المتلقين"<sup>11</sup>.

وأما من حيث المضمون فإن الخطاب الموجه لهاته الفئة على الوجه الأخص يجب أن يتضمن موضوعات هادفة ترتبط ارتباطا مباشرا بميول الأطفال ومعتقداتهم وآمالهم وآلامهم وقضاياهم الراهنة وطموحاتهم المستقبلية، موضوعات (واقعية وأخرى خيالية)، مع مراعاة الجوانب النفسية والقدرات العقلية لهؤلاء الأطفال.

**3- البعد التربوي للخطاب:** يمثل الجانب التربوي للخطاب أهم أبعاده التي تروم النخب تحقيقها لدى النشء، ذلك أن الخطاب الموجه للأطفال سيحمل بين جنباته رسائل متعددة مباشرة وغير مباشرة، وهي رسائل هادفة للتأثير على سلوكيات الأطفال المتلقين، لتجعل منهم مواطنين صالحين فاعلين نافعين لأنفسهم ولأوطانهم، ولا يمكن الوصول لذلك إلا بالسيطرة على هذه الفئة سيطرة تامة من خلال تربيته وتعليمها تعليما ينبع من القيم الأساسية للأمة والراسخة في أذهان الأطفال المتعلمين، تلك القيم التي تتمثل في جملة من "الأحكام العقلية والمعتقدات المتعلقة بفكرة أو موضوع أو موقف معين، وهي تعد موجّهات عامة لسلوك الأفراد، فهي معايير للسلوك الفردي والاجتماعي في الحياة"<sup>12</sup>، كما تعرف القيم أيضا بأنها: "مجموعة من المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس، ويتفوقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزانا يزنون به أعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية"<sup>13</sup>.

وإيقاظ هذه القيم في نفوس النشء أمر ليس يسيرا، بل إنه يتطلب من كل أولياء الأمور والمربين والمشرفين على تربية الأطفال وأئمة المساجد... وهلم جرا، يتطلب من كل هؤلاء جهدا جهيدا في سبيل غرس مختلف القيم لدى النشء سواء كانت قيما: (وجدانية وروحية، أخلاقية، عقلية، اجتماعية، جسمية، جمالية، سياسية، اقتصادية...)، وغيرها من تصنيفات القيم التي أقرها الباحثون في هذا المجال.

ولربما كان الخطاب الديني في هذا الصدد التربوي والقيمي من أهم ألوان الخطابات التي يمكن أن يُتَكَمَّلَ عليها في تحقيق تلك الغايات بالنظر لما يكتسبه من أهمية خاصة وما

يحظى به من قدسية عند جل التلقين له، فهو ينطلق عادة من النص القرآني والنصوص الشارحة له ومن الأحاديث النبوية الشريفة وسير السلف والصالحين، ونود في هذا الجانب من البحث الإشارة إلى قضية من أخطر القضايا في هذا الصدد، فقد أثبتت الدلائل المستنبطة من دراسات أجريت حول العلاقة القائمة بين اللغة والدين والتفكير إلى أن: كل الكلمات التي تُستَقْبَلُ وهي موضوعة في قالب ديني، تتجه إلى إثارة المشاعر وتستدعي الصور الثابتة فيها بشكل آلي دون التمييز في دلالتها أو التثبت من مصداقيتها أو منطقيتها، بحيث لا تعالج مطلقاً في الجزء الأسير من الدماغ، وتلك حقيقة تفتن إليها كثير من الساسة ورجال الدين والداعين إلى أفكار ومذاهب جديدة، فألبسوا كثيراً من خطاباتهم وأفكارهم لباساً دينياً، لكي تمرق إلى الجماهير داخل هذا القالب، فتحركهم بطريقة آلية كما يُراد لها أن تفعل دون تمحيص ودون معارضة<sup>14</sup>، ويبدو أن هاته الفكرة تتجاوز حدود الأديان السماوية إلى الأديان الوضعية أيضاً. ومن هذا كله يمكننا القول إن جل الخطابات الدينية تعد مدخلا خطرا في الوصول إلى تحقيق غايات ما على مستوى فئات محددة من الأشخاص وفي مقدمتها فئة الأطفال عموماً، وذوي الحالات الخاصة على الوجه الأخص، فالخطاب الديني والمبني على مرجعيات مختلفة في بعده التواصلية اللسانية والثقافية سيعتمد بالأساس على تبادل للأدلة بين ذاتين (ذات مرسل وذات مستقبل)، حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الثانية، وتقتضي العملية جواباً ضمناً أو صريحاً ليضمن نجاح عملية التواصل التي تتطلب تشاركاً فاعلاً بين المرسل والمرسل إليه، في السنن، حتى يتم الإنسان والاستئنان على الوجه الأكمل كما أراد له المجتمع اللغوي<sup>15</sup>، ومن هنا تبلغ الرسالة غايتها، هذه الخصوصية التي يتمتع بها الخطاب الديني تجعلنا نلجأ للاستعانة بمؤسسات أخرى كالمدارس والمؤسسات التعليمية التي من شأنها أن تُقَوِّمَ المفاهيم الدينية الصحيحة وتقدمها، فالخطاب الديني لم يعد حكراً على المساجد والمواعظ الدينية التي تُتَلَقَّفُ من هنا وهناك من المحيط الأسري ومختلف

وسائل الإعلام، بل سيشمل المدرسة بشكل تعليمي ووفقا لمنظومة مخططة ومنهجية ومرسومة خطواتها، ذلك أن التكوين السليم لشخصية المتعلمين لا يجب أن يكون بعيدا عن الواقع وعن الاستعمال التواصل<sup>16</sup>.

بدا أنه من المفيد في هذا السياق البحثي الإشارة إلى قضية رئيسة تتعلق بطبيعة الخطاب المستخدم في غرس مجموعة القيم لدى فئة الأطفال، ذلك أن الخطاب الأدبي الموجه لتربية الأطفال ونقل القيم وتهذيب سلوكياتهم لا يجب أن يتكئ فقط على الجوانب الدينية الصرفة التي تعتمد مبدأ التحفيظ والإلقاء، والحق أننا أمام شريحة حساسة، إن هي شعرت أنها موضوع عملية ما، استدعت أساليبها في التحايل والمكر وإبداء أوجه اللامبالاة، ومن كل هذا فإنه يُرجى من الخطابات الأدبية والنصوص الموجهة إليهم (دينية كانت، أو حضارية) أن تُقدّم بشكل لائق غير مباشر وعميق في الوقت نفسه، ذلك أن التلميح أشد أثرا من التصريح إذ إنه يخاطب العقل والعاطفة معا، ويثير العديد من الأسئلة الداخلية، مع محاولة العثور على إجابات مرضية، كل ذلك سيجعل الأطفال يتفاعلون تفاعلا إيجابيا مع النص والخطاب ومع المخاطب نفسه، وربما استدعت روعة الخطاب وطريقة عرضه الطفل للدخول في علاقة مباشرة معه ليستلهم منه المغزى العميق الكامن وراء التشكيل اللغوي، عبر إيجاءاته وتلميحاته التي من شأنها أن تخلق متعة لدى الأطفال، وتجعل للأدب وظيفة خلقية تطمح كل المجتمعات المتقدمة على اختلاف دياناتها ومعتقداتها إلى ترسيخها في نفوس الناشئة من طريق الأدب<sup>17</sup>.

ومن جملة غايات الخطاب الأدبي في غرس القيم لدى الناشئة نورد:<sup>18</sup>

- العمل على تهذيبهم وتأديبهم وغرس القيم والسلوكيات الحمودة لديهم.
- غرس روح الانتماء والمواطنة والحفاظ على بيئتهم المحيطة بهم.
- مراعاة الآداب العامة ونبذ الرذائل والسلوكيات الذميمة.

- الإسهام في تحقيق نظرية التربية المتكاملة، بفضل إكساب الأطفال بعض المهارات والسلوكيات والعادات الحميدة.
- تدعيم البناء الروحي والمادي المتوازن في شخصية الأطفال عبر ترسيخ دعائم الإيمان والعلم والفضيلة، وتنمية حواس الطفل الإدراكية، وتوسيع رقعة الخيال عنده، وتنمية معارف الملاحظة والتأمل والاكتشاف والتهيه.
- إكساب الأطفال كثيرا من أنماط السلوك الاجتماعي، وذلك بتحويل القيم الخلقية إلى سلوكيات ومعاملات مرغوبة.
- تعريف الأطفال بكل ما يدور في فلكهم وكل ما يحيط بهم وبيئتهم ووطنهم وأمتهم والعالم الذي يعيشون فيه.

**4- البعد التعليمي للخطاب:** إذا كانت الأبعاد التربوية للخطاب تركز على ما هو **حُلُفي** وديني وقيمي بالدرجة الأولى، فإننا في هذا الجانب من البحث سنركز على الجوانب التعليمية الصرفة، جوانب تتعلق بما يمكن للطفل أن يكتسبه أو أن يتعلمه من خلال وجوده في بيئة اجتماعية أو تعليمية مثالية محددة.

ومن يمكننا أن نقسم مراحل النمو اللغوي عند الأطفال إلى مرحلتين رئيسيتين: أما الأولى فتسمى **مرحلة الاكتساب اللغوي**: وهي مرحلة تعتمد في جوانب كثيرة منها على التلقائية لا القصدية، واستخدام الحواس وترويضها في تنمية العقل وتطيره، ذلك أن العقل البشري ليس فيه شيء من المعرفة إلا ما يأتيه من طريق الحواس، ولربما كانت أولى هذه الحواس بالتربية والترويض حاسة السمع، التي وصفها العالم العربي **"ابن خلدون"** بأنها (السمع أبو الملكات)، ذلك أن الطفل ومنذ ولادته سيبدأ مباشرة وبشكل تدريجي في عملية الاكتساب اللغوي المرتبط أساسا بمرحلة عمرية محددة، لينتقل

بعدها لمرحلة التعلم التي تتسم بظروف مختلفة نوعا ما، وعليه سيكون السمع مدخلا رئيسا في عملية الكسب اللغوي.

والحق إن عملية الاكتساب اللغوي لمستويات اللغة كلها: (صوتها وصرفها وتراكيبها ودلالاتها وأساليبها)، لا تتم بشكل مجزء مثلما هو عليه الأمر في البرامج التعليمية المدرسية، وإنما تتم بشكل كلي، فالطفل يسمع الصوت المفرد منطوقا ومركبا ضمن الكلمة الكاملة والجملة التامة ومستعملا في سياق ومقام محدد، مع ما يمكن أن يصحب عملية النطق الكلامي من نبر وتنغيم وتفخيم وترقيق وإدغام ... وهلم جرا، وما يصاحب ذلك من نغمات صاعدة ونازلة وأمر ونهي وتعجب ونداء ...، وهو ما يمنح الطفل فرصة لن يأخذ صورة كافية وحقيقية عن اللغة المنجزة والتي تكتسب عنده تدريجيا اعتمادا المعاشية المباشرة والممارسة التطبيقية لها من خلال الأفراد المحيطين به والمجتمع الصغير الذي يعيش فيه، وأيضا بالاعتماد على جملة من العمليات والقوانين السلوكية: كالإثارة والاستجابة والممارسة والتكرار والتعزيز والتمييز والمحاولة والخطأ والإطفاء...، وجملة من القوانين المعرفية معتمدا على مبادئ الاستبصار والتكيف والموازنة وإعادة الضبط الذاتي في كل مرة تُعرض له فيها معارف وخبرات جديدة.

إن الأمر الذي يجب ألا يعزب علينا هو أن الاكتساب اللغوي عند الأطفال يتكئ على جانبين رئيسين: جانب اجتماعي يتعلق بالطفل ومحيطه الاجتماعي الذي يعيش في كنفه، وجانب نفسي يتعلق بالطفل نفسه ومختلف قدراته العقلية وإمكاناته الداخلية، ذلك أن الطفل لا يكسب اللغة لوحده بل يكتسبها انطلاقا من ركيزة اجتماعية وبعون من جل المحيطين به من: (والدين، إخوة، أهل، أقران ...) وقدرتهم على تعزيز الطفل وتوجيهه تدريجيا بشكل مباشر وغير مباشر، وجانب آخر يتعلق بالطفل ذاته وقدراته على الملاحظة الدقيقة التي يمنحه إياها عقله الصغير، فيعتمد المبادئ السلوكية أحيانا كالتعزيز والتكرار والمحاولة والخطأ للوصول إلى غاياته، وقد يعتمد على

المبادئ العقلية والمعرفية المستندة إلى الملاحظة والاستبصار والاستنتاج والقياس وإعادة الضبط الذاتي.

وأما المرحلة الثانية من حياة الأطفال فترتبط بمرحلة التعلم المقصود والمنظم في سياق مدرسي وبإشراف مرشدين أو معلمين ومدرسة لها نظامها وقوانينها وبرامجها وأهدافها التعليمية الخاصة بكل مرحلة عمرية، وبكل مرحلة تعليمية تهدف إلى تزويد الأطفال بكل الخبرات والمعارف الأساسية والضرورية التي يجعل منهم مواطنين صالحين ونافعين في مجتمعاتهم، معارف مختلفة: (لغوية، ودينية، وفلسفية، واجتماعية، تاريخية، وعلمية، وجغرافية، ومدنية، واقتصادية... وهلم جرا)، كل ذلك يقدم انطلاقاً من نصوص وخطابات محددة مبرمجة بدقة تامة ضمن كتب ومخططات سنوية تتبع مراحل نمو المتعلمين خطوة بخطوة، ومن هنا تبدأ ملامح الأطفال اللغوية في الظهور والتميز، ورصيدهم اللغوي ومعجمهم يزداد شيئاً فشيئاً.

ومن حسن حظ الطفل أن يَعرَضَ له كَمُّ لغويّ هائلٌ يصادفه في حياته الاجتماعية والتعليمية، كل ذلك سيساعده لا محالة في بناء معجمه اللغوي وتطويره على نحو يمنحه قدرة للتكيف التام مع بيئته المحيطة التي يعيش فيها (الاجتماعية والمدرسية)، نظام لغوي يعتمد على ازدواجية لغوية (لغة دنيا) للاستعمالات العامة واليومية أكثر تحراً من القواعد اللغوية وأكثر التصاقاً بالمجتمع، و(لغة عليا) للاستعمالات الخاصة و أكثر التزاماً بالقواعد اللغوية، والعلاقة بين هذين النظامين علاقة تكامل لا تنافر، والظاهر أن الطفل في سن مبكرة جداً يستطيع التعود على التعامل بالنظامين اللغويين (المختلفين نوعاً ما)، ولا يجد مشقة في الانتقال من النظام الأول للنظام الثاني.

إن كل ما أوردناه سلفاً من حديث عن الاكتساب اللغوي والتعلم عند الطفل يرتبط ارتباطاً مباشراً بما يمكن أن يقدم عليه هذا الأخير مستقبلاً من اكتساب للمعارف والعلوم بمعية اكتسابه للغة، فاللغة وعاء للفكر والمعرفة وأداة لنقلها وتفهمها.

إن جل الخطابات والنصوص التي يتلقاها الطفل بشكل مباشر أو غير مباشر، وبشكل نظامي أو غير نظامي تحمل بين طياتها لغة ومعارفا وأفكارا وعلوما لا غنى للطفل عنها في سبيل تكوينه تكوينا متوازنا، يسعفه في ممارسة حياته بشكل طبيعي، وللتفاعل بشكل طبيعي والتكيف مع بيئته المحيطة.

إن مهمة الخطابات والنصوص الموجهة للطفل هي أن تعينه في الإجابة عن كثير من الأسئلة التي تراود فكره وأن تهديه لتفسير كثير من المظاهر الطبيعية والعلمية والاجتماعية التي يمكن أن تعترض سبيله في الوصول إلى أعلى غايات الفهم العام للكون، وهي سبيل لتزويده بالمعارف الضرورية التي تجعل منه مواطنا صالحا ونافعاً لنفسه ولأُمته. إن اللغة أداة ضرورية من أدوات النقل الحضاري عبر الأجيال، فيطلع الطفل إذ ذاك على سِيرِ الأولين والآخرين ومعارفهم وعلومهم وحضارتهم، أولئك الذين تفصله عنهم مسافات الزمان والمكان، وبذلك يتزود بمختلف المعارف الضرورية لحياة متوازنة وراقية. بل إن الطفل ومن خلال ما يكتسبه من لغة ومعارف يستطيع التعبير عن ذاته وفكره، وأن يبني لنفسه شخصية متكاملة ومتوازنة.

والملاحظ - كما جاء عن الدكتور "حسن شحاتة" - في معرض تعليقه عن جل الخطابات والنصوص الموجهة للأطفال للتعديل من سلوكياتهم، وفي ظل جملة من الدراسات سواء تلك التي قام هو بنفسه في، أو تلك التي قام بها باحثون آخرون في هذا السياق: "اتضح أن معظم المواد المقروءة والمسموعة والمرئية التي تقدم للأطفال خارج المدرسة وداخلها ترتبط بثقافة الذاكرة لا بثقافة الإبداع فهي حقائق سردية تقريرية، وقضايا مسلم بصحتها، وهي تقييد لفكر الطفل القارئ والمستمع والمشاهد، وهي خزائن مملوءة بالحقائق والمعلومات والمفاهيم، وأمثلتها لا تسمح بالتجريد، وبها جزئيات وتفرعات غير منظمة، وبها ما يوحي بالسيطرة والاستبداد بالأوامر والنواهي، وهي تخلع القدسية والخضوع لبعض الأفكار والأشخاص، وبها خبرات غير مباشرة منفصلة عن البيئة وعن

الوظيفية، كما أنها لا تحقق حواراً مع الطفل، وهي مادة تخلو من التعليل والتفسير والموازنة وإعمال الفكر، وإهمال البحث عن العلاقات بين القضايا، والبعد عن استخدام الخيال<sup>19</sup>.

كل تلك أمور تدعو القائمين على إعداد الخطابات والبرامج التربوية والتعليمية إلى ضرورة إعادة النظر مرات ومرات مع مراعاة خصائص المتعلمين العقلية والنفسية وحاجاتهم وطموحاتهم وآمالهم وآلامهم بالحسبان عند التخطيط لوضع وتصميم أي برامج تعليمية واختيارها في هذا الصدد، وكما نبغ الأهداف التربوية والتعليمية المنشودة بيسر وبكفاءة عالية.

#### ربعا- وظائف المعلمين ورجال الدين في ترشيد الخطاب الموجه للأطفال.

تتبدى وظيفة النخب المثقفة والمكلفة بالتربية والتعليم كالمعلم والمرشد أو الإمام في التحسين من كفاءات الأطفال والمتعلمين في أداءاتهم السلوكية السوية والسليمة، والاجتهاد في التقليل من آثار السلوكيات غير السوية لديهم، بل وتنبية الهمم لخطورتها وفحش ممارستها وتبنيها حيناً فحيناً ليتخلى عنها المتعلمون تدريجياً، بل ويستبدلوها بسلوكيات أعلى فائدة أكثر وظيفية، وذلك انطلاقاً من نمط متميز من الخطاب الهادف المبني على قوة الحجة وفاعلية التأثير في سلوكيات الآخرين.

وعليه سنعكف في هذا الشق من البحث على معالجة قضية مهمة في مجال التربية وعلم النفس تتعلق أساساً بتحديد الوظائف الرئيسة للمعلمين ورجال الدين في تعديل السلوكيات غير السوية للأطفال عموماً وللأطفال المسعفين على الوجه الأخص، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لديهم عن بعض الأشياء، من نحو: (سلوكيات العدوان، الأنانية، الخجل، والكذب... وهلم جرا)، من خلال الاعتماد على ألوان متميزة من الخطاب اللغوي المؤثر.

فإذا كان الخطاب رسالة موجهة وعلاقة تبادلية تحدث بين مرسل متلق، فإن عناصر هذا التواصل يجب أن تكون على تجانس تام كيما تحدث عملية التواصل التفاعل المطلوب منها وتبغ غايتها، ومنها هنا فإن كل عنصر من عناصر العملية التواصلية سيضطلع بوظائف وأدوار محددة ضمن النسق الكلي.

وإذا كان الخطاب عموماً يقوم على عناصر تواصلية، فإنه يقتضي أولاً وجود سنن بين عنصري الخطاب، بين المرسل والمرسل إليه، أو بين النص والمتلقي في سياق معين، ومن هنا ستتبدى الوظيفة التداولية للخطاب، والتي تُعنى بالشروط اللازمة في الأقوال اللغوية لكي تكون مقبولة وناجحة وملائمة للموقف التواصلية وفقاً للقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول ومقتضيات الموقف الخاص به، أي العلاقة بين النص والسياق<sup>20</sup>.

بيد أنه من المفيد أن نشير إلى أسئلة التداولية الرئيسة في هذا السياق وهي: من يتكلم وإلى من؟ ما مقصدنا أثناء الكلام؟ وما مصدر التشويش والإيضاح؟

قد لا نجد أنفسنا مضطرين للإجابة عن كل هذه الأسئلة السابقة في سياق هذا البحث لكن الإجابة عن بعض منها لابد أن يكون أمراً ضرورياً، وسنركز في هذا البحث على الجوانب البرغماتية في التداولية.

إن الخطاب التعليمي يكتسي أهمية خاصة في المؤسسات التربوية، لكونه ظاهرة تواصلية، وقد أقيمت حوله دراسات كثر، وعليه لا يجب أن يكون الخطاب التعليمي خطاباً جزافياً وغير مؤسس، ذلك أن مرسل الخطاب نفسه مطالب بمراعاة جوانب تتعلق بطبيعة الخطاب نفسه ولمن توجه هذا الخطاب، ومصدر الخطاب نفسه، وطبيعة المعارف والمضامين التي ينقلها هذا الخطاب، فالخطاب الذي يستعمل في توصيف مواد علمية وتعليمها: (كالرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية... وهلم جرا) ليس الخطاب ذاته الذي يستعمل في تعليم مواد من نحو: (اللغات المختلفة، والتربية الإسلامية)، هذه الأخيرة والتي لها وقعها ووضعها الخاص في كينونة الفرد وسلوكه، ولما يعنيه البعد الديني في حياة الفرد

المتعلم، ناهيك عن أن عددا من المواد التعليمية في المدارس (كاللغة العربية) تقوم في كثير من موضوعاتها على النصوص الدينية، تلك جوانب مهمة في سياق بناء عملية تعليمية هادفة وناجحة تستند على نظريات لسانية حديثة وفي مقدمتها النظرية التداولية في جانبها التواصلية<sup>21</sup>.

وأما عن الشروط الواجب توافرها لاكتساب القيم والمعارف عند الأطفال فنورد:<sup>22</sup>

أ- توفير المناخ الودي المناسب (نفسيا، واجتماعيا، وماديا)، فالمناخ الصفّي الذي تشيع فيه المحبة والديمقراطية وروح التسامح والإيجابية يشكل أرضا خصبة للتعليم الجيد والهادف.

ب- أن يكون للمدرس والموجه والمشرف التربوي دور فعال في عمليات التوجيه والتواصل وتعزيز

ج- الحرص على دعم المعارف وتعزيز القيم بالطرائق المناسبة للدفع بها في الاتجاه المرغوب.

د- تزويد الطلاب المتعلمين بالعديد من الأمثلة والنماذج الحية التي تمثل أنماطا قيمية حية ومتنوعة، وتشكل تميزا سلوكيا ممارسا في المواقف الحية.

هـ- إتاحة الفرص الكافية والمناسبة أمام المتعلمين لممارسة القيم المكتسبة، وربطها بالمعززات والتغذية المرتدة الضرورية واللازمة.

ومن الطرائق والأساليب التي نرى بأنها ضرورية للمعلم في غرس القيم وتعديل السلوكيات:<sup>23</sup>

أ- اتباع المثل الصالح أو القدوة الحسنة أو النموذج، فالأطفال كثيرا ما يعتمدون على نظرية التعلم بالملاحظة أو النمذجة في اكتسابهم لكثير من السلوكيات.

ب- استخدام كل أساليب الإقناع والمحااجة والبرهنة العقلية والمنطقية.

ج- تحديد نواحي الاختيار ، وذلك بتوجيه المتعلمين الوجهة المناسبة وإعانتهم على حسن الاختيار.

د- التركيز على الأفكار المنبثقة الأصول من الدينية والثقافية، وكل المرجعيات ذات القيمة والدلالة بالنسبة للأطفال.

هـ- اللجوء إلى إيقاظ الضمائر الفردية الحية.

و- أن يكون سلوك المعلم نفسه متوافقا مع القيم المراد غرسها، بعده قدوة حسنة للطلاب.

ز- السماح للطلبة المتعلمين بالتعبير عن آرائهم وأفكارهم بكل حرية وديمقراطية، من خلال اعتماد مختلف أساليب الحوار والمناقشة البناءة.

#### خامسا- أساليب المعلم في تعديل السلوك:

على الرغم من كون النظريات والمناهج التعليمية والتربوية الحديثة تقلل من دور المعلم في عملية التعليم، وتجعل من المتعلم أساسا ومنطلقا للبناء التعلميات الجديدة وما دور المعلم في كل ذلك إلا الإرشاد والتوجيه، إلا أنه لا يمكننا بحال من الأحول أن نغفل الدور الذي يضطلع به المعلم في كل ذلك، وبالأخص في المراحل التعليمية الأولى، صحيح أن المتعلم ليس وعاء فارغا كما يزعم مريدو المدرسة السلوكية حتى إنه يأتي للمدرسة مزودا بعدد هائل من الخبرات اللغوية والفكرية، بيد أن هاته الخبرات هي في الغالب الأعم في ميسر الحاجة إلى التقويم والتوجيه والتعديل، ولربما استدعى الأمر ضرورة إطفاء بعضها لتعارضها مع القيم الاجتماعية ولأثرها السلبي على المتعلم نفسه وعلى المجتمع ككل، ومن هنا تتأتى أهمية التدخل المباشر للأسرة والمعلم والمربي كي تُقَوِّمَ هاته السلوكيات وتغدو أكثر مقبولة، أو تُطْفَأَ وتحل بدلا عنها سلوكيات أُخَر.

ومن ها هنا يأتي دور المعلم الحاذق النبهي الذي سيتلخص دوره في توجيه سلوكيات المتعلمين الصغار في اتجاهين اثنين: اتجاه يعتمد على خطط التوجيه المباشر من خلال برنامج علاجي يبنى على أسس وقواعد علمية سليمة، واتجاه ثان يعتمد على التعلم بالتمذجة والقدوة الحسنة.

- ففي البداية على المعلم أن يحدد بدقة التعليمات وقواعد السلوك المرغوب فيه داخل الصف وأن يعمل ما في وسعه على دعمه وتعزيزه، كأن يلفت المتعلمين إلى ضرورة الانتباه الدائم، والامتناع عن المشاجرة، والمشاركة الفاعلة في المناقشات الصفية.
- على المدرس أن يعطي المتعلمين فرصا كافية لإشباع حاجاتهم للنجاح، وهو سبيل جيد من سبل تكوين ميول الأطفال نحو العمل المحب.
- على المعلم في بعض الأحيان أن يتجاهل بعض أنماط السلوك غير المرغوب فيه داخل الصف إلا إذا تسبب ذلك في ضرر له وللآخرين، وأن يجتهد في تعزيز الأطفال الذين يعملون جيدا لتدعيم السلوكيات الصحيحة ولتصحيح بعض السلوكيات الخاطئة، على أن يعزز أيضا أولئك الذين يرى منهم تحسنا ملحوظا في تعديل سلوكياتهم الخاطئة.
- عند مواجهة المعلم لمشكلة سلوكية ما عليه أولا البحث عن الأسباب الرئيسة الكامنة وراء السلوك لتحديد الأسباب وتشخيص المشكل لتوصيف العلاج المناسب.<sup>24</sup>
- يعد اعتماد الحوار المتعدد الاتجاهات أسلوبا فاعلا في منح المتعلمين فرصا للتعبير عن آراءهم وتجاوز كثير من المشكلات السلوكية كالخجل والخوف ونقص الثقة بالنفس.
- استعمال أسلوب التذكير والتواصي: وهو أسلوب جيد وناجح في تعليم الأطفال الصغار بعض المفاهيم الأخلاقية والدينية، وفيه يمكن للمعلم (المربي) أن يعيد إلى أذهان المتعلمين بسرد قصص ونحوها معان وذكريات يوقظ بها مشاعرهم وانفعالاتهم، مما يدفعهم للمبادرة والعمل الصالح وتجنب ما ساء من السلوكيات التي قد تضرهم أو ترغيهم.
- التربية بالأحداث (المواقف): يجد الطفل نفسه في أحياء كثيرة في تفاعل مباشر ومواجهة مع مواقف وسلوكيات خاطئة قد تصدر من قبل المحيطين به، ولربما وجد الطفل صعوبة في تفسير تلك السلوكيات، ومن هنا يأتي دور المعلم الحاذق الذي يوظف هاته الأحداث لتقديم الدروس المناسبة والتوجيهات الصحيحة والخطط الملائمة لتجنب هاته الشاكلة من السلوكيات ومعالجتها.

- أن يعتمد المعلم لإعطاء فرص أكبر للمتعلمين الذين يعانون حساسيات مفرطة من الخجل والتردد والخوف كإشراكهم في نشاطات اجتماعية ورياضية لتشجيع الثقة بالنفس، مع إعطاء المكافآت الكافية تشجيعاً لهم، يضاف إليه منحهم الفرص للتعبير عن أفكارهم والمشاركة في إثراء النقاشات<sup>25</sup>.

- على المعلم ألا يدخل في مقارنات بين التلاميذ مما قد يتسبب في إحباط لدى بعضهم الآخر ، مع العدالة في التعامل كيلا يقع المتعلم في حساسيات الغيرة المفرطة.

- أن يعتمد المعلم لتشجيع الأطفال على التعامل بصدق مع الأحداث والأقوال، مع توجيه سلوكياتهم نحو الأمور التي تقع في حدود قدراتهم الطبيعية مما يشعروهم بالسعادة، بعكس تكليفهم بأعمال تفوق قدراتهم مما يؤدي بهم إلى الفشل والإحباط والكذب، والجنوح للخيال.

- أن يعتمد المعلم على إقناع الأطفال بأن القول الحسن والصادق يجلب لصاحبه الاحترام والتقدير، وأن يجتهد بنفسه في تعزيز السلوكيات الصادقة ومكافئتها بما يناسب.

- إشعار المتعلمين بالأمان والثقة، مع محاولة عزلم عن كل المشوشات التي قد تتسبب في حساسيتهم المفرطة للقلق الذي قد ينعكس في سلوكيات عنيفة تضر بهم وبكل من يحيط بهم.<sup>26</sup>

- يتطلب إطفاء بعض السلوكيات السيئة والحد منها وقفا للمصادر المعززة لها ويتحدد ذلك بالمراقبة الجيدة والملاحظة الدقيقة والتشخيص الواعي، كملاحظة الأحداث التي تسبق السلوك والمثيرات السالفة، كما يتطلب لأمر تحديدا لنواتج السلوك وتأثيراته اللاحقة والتي تشجعه على الحدوث مستقبلا، وهكذا فإن تحليل كل تلك البيانات يمكن أن يساعد في إيجاد الحل المناسب.

- على المعلم أن يجتهد في البحث عن ألوان مختلفة من المعززات الإيجابية التي تدفع بالأطفال للتخلي عن السلوكيات الممارسة إبدائها بسلوكيات أكثر نفعاً، وهو ما يسميه العلماء بـ (التعزيز التفاضلي)

- على المعلم الابتعاد قدر المستطاع على كل أساليب العقاب، ذلك أنه وإن كان أثر التعزيز بلونيه (الإيجابي والسلبي) بَيِّناً في تحقيق تحسن واضح في علاج بعض السلوكيات وإطفاء بعض منها، فإن تأثيرات العقاب ستشكل في كثير من الأحيان مظهراً ارتكاسياً في حدوث إطفاء السلوك السلبي.

- على المعلم أن يستخدم كل الأساليب والأدوات والطرائق الممكنة في تعديل السلوكيات السيئة لدى الأطفال، ولربما دخل ذلك استخدام الحيل والاختراعات الهادفة وأساليب اللعب لتحقيق الغايات المنشودة، كذلك التي اقترحها العالم النفسي "سيغمون فرويد" (S Freud)<sup>27</sup>.

- على المعلم أن يستعين بكل الظروف المحيطة لتحسين أداء الأطفال المتعلمين وبالأخص المحيط المدرسي والمحيط الأسري، والبيئة المحيطة، لمعالجة مشكلاتهم والبحث عن أسبابها الرئيسة.

- أن يختار المعلم من النشاطات والبرامج التعليمية ما يحقق له الأهداف والغايات، وبما يتلاءم مع خصائص المتعلمين العمرية، وقدراتهم العقلية والمعرفية، وحاجاتهم وتطلعاتهم، وتطلعات مجتمعهم.

- أن يختار المعلم من البرامج ما يتسم بالواقعية والوظيفية والجمال، على أن تكون غايتها تربوية وتعليمية وتثقيفية، فتبصر الأطفال بخصوصيات مجتمعهم ومشكلاته وحاجاته، مع ضرورة الإسهام في البحث عن حلول مناسبة لها، ودور كل فرد من أفراد المجتمع فيها.

- على المعلم أن يشجع في الأطفال تنمية طاقات الضبط الذاتي التي تبع من دواخلهم، ولا يتأتى ذلك ألا من خلال المناقشات الهادفة والهادئة، ودعم الجوانب الجيدة في شخصياتهم، كما أن الضبط الذاتي يتحقق من تأثير المجتمع على الأطفال، ومنه فمن واجب المعلم أن يشجع الأطفال على المشاركة الايجابية في تمثيل الأشياء والأحداث من خلال الاحتكاك بعالم الكبار أثناء ممارستهم للنشاطات العلمية والرياضية والموسيقية وطرائق التفكير، وهاهنا يبدأ الطفل في تقليد النماذج الايجابية التي تحيط به.

- من المفيد أن يدرك المعلم في هاته المرحلة العمرية للأطفال أن عملية إكساب السلوكيات الصحيحة للمواقف تمر عبر الإرشاد والتوجيه، وعبر النمذجة الصحيحة، على أن يعمل ما وسعه لتجنب أساليب الأمر والنهي في معالجة السلوكيات الخاطئة.

\* خاتمة: في ختام هذا البحث يمكننا الوقوف عند النقاط الآتية:

- إن التنشئة الاجتماعية لفئات محددة من الأطفال تتطلب خطابا سلطويا يتسم بكثير من المصدقية والواقعية للوصول إلى أكبر شريحة من فئات المتلقين، ولينال من لدنهم القبول والرضا.

- إن قوة الخطاب تكمن في قدرته العجيبة على الإغواء والتسلط على ألباب المتلقين، بل وتكمن أيضا في قدرته على المحاججة ودفع الآخرين للقبول بما يطرح عليهم وفي التخلي عن كثير من عاداتهم وسلوكياتهم السيئة.

- إن واحدة من أهم مهمات الخطاب وظائفه في الشق الاجتماعي هي أن ينمي في متلقيه القدرة على التكيف مع الأوضاع والظروف الجديدة ومواجهة التحديات التي قد تعترض سبيله، بل وينقل إليه سنن حل المشكلات التي تكتسب من سبيل الملاحظة أولا، ومن طريق التفكير في الأمور والتدبر فيها باستخدام العقل المتقد ثانيا.

- من المهمات الرئيسة للخطابات الموجهة للأطفال هي عملية (التطهير الانفعالي) لنفسية الأطفال، ذلك أن الغبطة التي تملو وجوههم وهم يتلقون خطابات جمالية بل

وينشدونها ويرددونها، كل ذلك يعكس سمات الفرح والمرح والسرور الذي يصاحبهم نتيجة التغلب على كل مظاهر الخجل والتوتر والخوف عندهم

- يمثل الجانب التربوي والتعليمي للخطاب أهم أبعاده التي تروم النخب تحقيقها لدى النشء، ذلك أن الخطاب الموجه للأطفال سيحمل بين جنباته رسائل متعددة مباشرة وغير مباشرة، وهي رسائل هادفة للتأثير على سلوكيات الأطفال المتلقين، لتجعل منهم مواطنين صالحين فاعلين نافعين لأنفسهم ولأوطانهم.

- <sup>1</sup> - علي حرب، الموسوعة الفلسفية العربية، ط1، طرابلس الغرب، معهد الإنماء العربي، 1986، م1، ص 1771.
- <sup>2</sup> - جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1978، ج1، ص 204.
- <sup>3</sup> - أحمد عيساوي، قراءة تأسيسية تاريخية لمفاهيم التجديد والخطاب الديني، مجلة الصراط للبحوث والدراسات الإسلامية المقارنة، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، العدد 7، 2006، ص 51.
- <sup>4</sup> - ميشال فوكو، إدارة المعرفة، تر: جورج أبي صالح، ط1، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1990، ص 108-109.
- <sup>5</sup> - Huck, S, Charlots. Children's Literature in the Elementary School, )New York, Holt, Rinehart and Winston, 1976), p 5-6.)
- <sup>6</sup> - ينظر: حسن شحاته، أدب الطفل العربي، دراسات وبحوث، ص 24 - 26.
- <sup>7</sup> - ينظر: حسن شحاته، نفسه، ص 22.
- <sup>8</sup> - عبد السلام ياسين، النصوص التربوية لمدارس المعلمين والمعلمات، ط1، الدار البيضاء، دار السلمي، 1963، ص 70.
- <sup>9</sup> - ينظر، عبد الحميد نشواتي، علم النفس التربوي، ط3، الأردن، دار الفرقان للنشر، 2004، ص 141، وينظر، سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم "الأسس النظرية والتطبيقية"، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2001، ص 305.
- <sup>10</sup> - ينظر، ميلود شنوي، أدب الطفل مفاهيم وأهداف، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة، الجزائر، مج6، العدد 02، سبتمبر 2018، ص 484، 485.
- <sup>11</sup> - ينظر: خديجة بصالح، لغة الخطاب التواصل في أدب الأطفال، مجلة حوليات جامعة بشار في الآداب واللغات، الجزائر، العدد 20، 2018، ص 79 وما بعدها.
- <sup>12</sup> - دعاء أنور جمعة أبو مور، أثر توظيف مسرحية المناهج على تنمية القيم في مادة التربية الوطنية لدى الصف السادس الأساسي، بحث ماجستير، إشراف: عبد المعطي رمضان الأغا، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2016، ص 29.
- <sup>13</sup> - المرجع نفسه، ص 28.

- <sup>14</sup> - ينظر: فالح شبيب العجمي ، اللغة والسحر، ط1، الرياض، مكتبة لسان العرب، 1424 هـ/ 2003م، ص 48.
- <sup>15</sup> - ينظر: عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2010، ص 47.
- <sup>16</sup> - ينظر: أسامة بن عبد الله، تعليمية مادة التربية الإسلامية وفاعلية الخطاب الديني، مجلة الإحياء، جامعة باتنة، الجزائر، المجلد 20، العدد: 20، ماي 2020، ص 466.
- <sup>17</sup> - ينظر، ميلود شنوفي، أدب الأطفال مفاهيم وأهداف، ص 482.
- <sup>18</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 482، 482.
- <sup>19</sup> - حسن شحاته، أدب الطفل العربي، دراسات وبحوث، ص 13.
- <sup>20</sup> - خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2008، ص 28.
- <sup>21</sup> - ينظر: أسامة بن عبد الله، تعليمية مادة التربية الإسلامية وفاعلية الخطاب الديني، ص 468، 469.
- <sup>22</sup> - ينظر: توفيق مرعي، ومحمد الحيلة، طرائق التدريس العامة، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2002، ص 233، 234.
- <sup>23</sup> - ينظر: ضياء زاهر، القيم التربوية في العملية التربوية معالم تربوية، ط9، القاهرة، دار الكتاب للنشر، 1991، ص 74.
- <sup>24</sup> - ينظر: فتحي بحة، وظائف المعلم في تعديل السلوكيات وتصحيح المفاهيم لدى أطفال الرياض، مجلة آفاق العلوم، جامعة زيان عشور، الجلفة، الجزائر، المجلد 06، العدد 04 (2021)، ص 153.
- <sup>25</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 154.
- <sup>26</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 154.
- <sup>27</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 155.